﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٧٧]

وحذر من سوء العقوبة للكاذبين بقوله سبحانه جل شأنه :

﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل: ٩٤]

وتوعد الله سبحانه وتعالى الكاذبين ، بتمييز سحنتهم بالسواد فضحا لهم بين الخلائق يوم القيامة ، فقال سبحانه وتعالى :

﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾[الزمر: ٦٠].

ثالثاً: السماحة في المعاملات :

السوق عامة في نشاط دائب وتحول مستمر ، والتجارة تبعا لها في تغير من حال إلى حال ، وقد يتعرض البعض إلى أزمات كساد لا يد له فيه ، أو التعرض لأزمة سيولة نقدية عارضة ، أدت إلى صعوبة الوفاء بالدين في موعده، وبعد أن كان الدائن في الجاهلية يشترط الحصول على ربا نتيجة تأجيل السداد ، تجلت رحمة الله سبحانه جل شأنه في دعوته للتراحم والإشفاق على ظروف المدين ، وقبول تأجيل السداد لحين ميسرة ، أو التصدق على المدين ، فقال الله ﷻ :

﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة: ٢٨٠].

وحول نفس المعنى جاءت عدة أحاديث . من بينها ما وعد النبى ﷺ برحمة الله ﷻ لذوى السماحة في البيع والشراء ، فقد ثبت:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى»[1].

والسماحة في التحصيل والتريث في إمهال العميل - ما لم يثبت تلاعبه - يؤدى في المدى البعيد إلى المحافظة على قوى السوق بفاعليتها المؤثرة في النشاط الاقتصادي . لأن الانسحاب

١) رواه البخاري فى صحيحه – كتاب البيوع – باب السهولة والسماحة فى الشراء والبيع وفى طلب حقا.

المتكرر من بعض رجال الأعمال نتيجة تعرضهم لأزمات عسر مالي مؤقت ، يؤدى إلى تقليص حجم السوق والحد من تجمع أوسع للمتعاملين فيه .

وقد يتخذ البعض مسلكا قانونيا في تحصيل دينه ، ولكن سيزاحمه دائنون آخرون ، ولن يصل إليه إلا اليسير من دينه في بعض الأحيان ، لأن تصفية الممتلكات والأصول الثابتة ، نادراً ما تحقق ثمنها المناسب لقيمتها الحقيقية ، خاصة حين التخلص منها في مواجهة الأزمات .

أما بعد النظر في إمهال العميل ، فإنه يؤدى به إلى تجاوز محنته المؤقتة ، ويبقى عليه عنصراً فاعلاً مؤثراً في النشاط التجاري بما يعود بالنفع على كل المتعاملين فيه ، والصبر عليه في السداد يحفزه على رفع كفاءة أدائه كي يغطى دينه ويحقق فائضاً مناسباً يكفل له حياة كريمة .

ومثل هذا الموقف المؤثر من جانب رجل الأعمال ، يجعل العميل سواء أكان تاجر جملة أو تجزئة ، أشد ما يكون ولاء وارتباطا به ، ويحرص على تنمية علاقاته معه ، ويؤثره في التعامل على الآخرين ، فيجنى بذلك رجل الأعمال أرباحاً ورواجاً له أثره الفاعل في المدى البعيد .

وفى بعض الأحيان ، قد يعود تعسر المتعامل إلى ظروف قاهرة خارجة عن إرادته ، مثل وقوع زلزال أو سيل ، أو آفة زراعية لم تدع الأرض إلا بعد هلاكها ، أو حريق .. أو غير ذلك، ومثل هذه الأمور تدخل في عموم صفة الجوائح التى ثبت في تعريفها:

عَنْ عَطَاءٍ قَالَ: الْجَوَائِحُ كُلُّ ظَاهِرٍ مُفْسِدٍ مِنْ مطر أَوْ بَرَدٍ أَوْ جَرَادٍ أَوْ رِيحٍ أَوْ حَرِيقٍ[1].

وقد حذر النبى ﷺ من التعسف في استيفاء الحقوق ، في الظروف القاهرة ، ففي حديث:

عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سمع جَابِرًا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنْ بِعْتَ مِنْ أَخِيكَ ثَمَرًا فَأَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ فَلا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئًا بِم تَأْخُذُ مَالَ أَخِيكَ بِغَيْرِ حَقٍّ»[2].

وفى ذلك إشارة واضحة إلى التغاضي عن المدين حال وقوع كارثة ، لا دخل له فيها ، والأولى .. الأخذ السماحة والتيسير والإمهال .

أما إذا استغرق الدين كل المال ، فإن التصدق على المدين المعسر يتقدم على كل سلوك أخر ، فإذا لم تكف الصدقة للسداد ، أخذ كل دائن نصيبه في حدود ما بقى من مال ، حيث ثبت في الحديث:

---

١) حديث مرفوع متصل رواه أبو داود – كتاب البيوع – باب فى تفسير الجائحة ويدخل في ذلك الآفة التى تصيب الثمار فتهلكها .

٢) حديث مرفوع متصل رواه النسائى – كتاب البيوع – باب وضع الجوائح.

عَنْ أبي سَعيد الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: أُصيب رجُلٌ في عهْد رسُول اللَّه ﷺ في ثمَار ابْتَاعَها وكثُر دَيْنُهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : «تَصدَّقُوا عليْه» فَتَصدَّقُوا عليْه ولَمْ يبْلُغْ ذَلكَ وَفَاءَ دَيْنه فَقَال رَسُولُ اللَّه ﷺ : «خُذُوا مَا وَجَدْتُمْ ولَيْس لكُمْ إلاَّ ذلك»[1].

وقد جاء النص القرآني ، يدعو الله ﷻ فيه إلى عدم أكل الأموال بالباطل ، والتجاوز فيما بينهم بالتراضي في شأن التجارة بصفة خاصة فقال سبحانه جل شأنه :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾[النساء: ٢٩].

وشتان ما بين ذلك التوجه الرحيم ، والقوانين الوضعية التى لا تلتفت إلى التجاوز أو الصدقة ، ويدخل الدائنون جميعا في قسمة الغرماء حسب مستويات الدين ، ليحصلوا على أموالهم دون التفات إلى تعاون أو تراحم أو تواد أو تصدق .

أثر السماحة والتجاوز عن المعسرين في ثواب الآخرة:

تعدد ت مكارم الله ﷻ .. وتفضل بالعديد من مظاهر رحمته على المتجاوزين عن المعسرين ، والميسرين في معاملاتهم ، وجاءت البشرى النبوية بعدة مظاهر للثواب والخير ، على نحو ما ثبت فيما يلي :

● **الحصول على ثواب الصدقة عن كل يوم تأجيل سداد للمعسر:**

فقد جاء عَنْ بُرَيْدة الأَسْلَميِّ عن النَبيِّ ﷺ قال: «مَنْ أَنْظَر مُعْسرًا كان لَهُ بكُلِّ يوْم صدقةٌ ومنْ أنْظرهُ بعْد حلّه كان لهُ مثْلهُ في كُلّ يوْم صدقةٌ»[2].

● **استجابة دعوته في الدنيا والكشف عن كرباته في الدنيا والآخرة :**

فقد ثبت عن عبْد اللَّه بْن عُمر رضي اللَّهُ عنهُما أخْبرهُ أنَّ رسُول اللَّه ﷺ قال: «الْمُسْلمُ أخُو الْمُسْلم لا يظْلمُهُ ولا يُسْلمُهُ ومن كان في حاجة أخيه كان اللَّهُ في حاجته ومنْ فرَّج عنْ مُسْلم كُرْبة فرَّج اللَّهُ عنهُ كُرْبة منْ كُرُبات يوْم القيامة ومنْ ستر مُسْلما سترهُ اللَّهُ يوْم الْقيامة»[3].

---

١) حديث مرفوع متصل رواه النسائى – كتاب البيوع – باب وضع الجوائح.

٢) حديث مرفوع متصل رواه ابن ماجه – كتاب الأحكام – باب إنظار المعسر.

٣) رواه البخاري فى صحيحه – كتاب المظالم والغصب – باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه.

وجاء عن ابْن عُمَرَ قَالَ: قَالَ رسُولُ اللَّه ﷺ : «منْ أَراد أَنْ تُستجاب دعْوَتُهُ وَأَنْ تُكْشف كُرْبَتُهُ فَلْيُفرِّجْ عنْ مُعْسرٍ»(١).

● تجاوز الملائكة عنه عند تلقي روحه :

وجاءت البشرى من رسول الله ﷺ بحسن ثواب الآخرة ، لمن تجاوز عن المدينين في أزماتهم ، حيث ثبت:

عنْ أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «كان تاجرٌ يُدَايِنُ النَّاس فَإذا رأَى مُعْسِرًا قَالَ لفتْيانه تجاوَزُوا عَنْهُ لعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوزَ عنَّا فتجاوز اللَّهُ عَنْهُ»(٢).

وَعَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ حَدَّثَهُ قَالَ: قَالَ النَّبيُّ ﷺ : «تلقَّتْ الْمَلائكَةُ رُوحَ رجُلٍ ممَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَالُوا: أَعَملْت منْ الْخَيْرِ شَيْئًا؟ قَالَ: كُنْتُ أُنْظرُ الْمُوسرَ وَأَتَجَاوَزُ عَنْ الْمُعْسرِ .. قَالَ: قَالَ فتجَاوَزُوا عنْهُ»(٣).

● الاستظلال بعرش الله ﷻ يوم القيامة :

حيث جاء عنْ أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رسُولُ اللَّه ﷺ : «منْ أَنْظرَ مُعْسرًا أَوْ وَضَعَ لَهُ أَظَلَّهُ اللَّهُ يوْم الْقيامة تحْت ظلِّ عَرْشه يوْم لا ظلَّ إلاَّ ظلُّهُ»(٤).

● البشرى بمغفرة الله ﷻ ، بحديث رسول الله ﷺ

عَنْ حذَيْفَةَ عن النَّبيِّ ﷺ : «أَنَّ رجُلاً مات فدخل الْجنَّة فقيلَ لهُ ما كُنْت تَعملُ؟ قَالَ: فإمَّا ذَكَرَ وإمَّا ذُكِّر فقال: إنِّي كُنْتُ أُبايِعُ النَّاس فكُنْتُ أُنْظرُ الْمُعْسر - أتركه إلى ميسرة - وأَتجوَّزُ في السِّكَّة - أتساهل في العملة المتداولة درهم أو دينار أو غير ذلك - أَوْ في النَّقْد فغُفرَ لهُ»(٥).

رابعاً: التعاون

جاء النص القرآني المبارك يدعو إلى التعاون ، حيث قال الله ﷻ :

---

١) حديث مرفوع متصل رواه أحمد فى مسنده – كتاب مسند المكثرين من الصحابة – باب مسند عبدالله بن عمرو بن الخطاب.

٢،٣) رواه البخاري فى صحيحه – كتاب البيوع – باب من أنظر معسرا.

٤) حديث مرفوع متصل رواه الترمذى فى سننه – كتاب البيوع عن رسول الله – باب ماجاء فى إنظار المعسر والرفق به.

٥) رواه مسلم فى صحيحه – كتاب المساقاه – باب فضل انظار المعسر.